

الورقة الخلفية للمؤتمر السنوي الثاني للدراسات التاريخية:

"مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية"

لقد أثار التأريخ للحدث، منذ ظهور مدارس التاريخ الجديدة، بدءًا من ثلاثينيات القرن الماضي، جدلاً واسعاً تناول مدى أهميته ومعناه. وإذ كانت المدارس الوضعانية في كلٍّ من ألمانيا وفرنسا وبلدان غربية أخرى قد ركّزت خلال فترة طويلة، ولا سيما في غضون القرن التاسع عشر، على الحدث بوصفه مادةً أوليةً وعنصرًا أساسيًا في التأريخ لتسلسل الأحداث، وتعاقبها، وتأثيرها في المؤسسات، والدولة، وسياساتها، فإنّ مدارس التاريخ الجديدة بدأت تركز على تاريخ الأفكار والعقليات، وعلى تاريخ البنى الاقتصادية والاجتماعية، وصولاً إلى التشديد على التحولات الكبرى في التاريخ؛ أي على مدى الاستمرارية، وعلى لحظات القطيعة وزمن التحولات، وهو ما سمّته مدرسة الحوليات "المدى الطويل"، على حدّ تعبير علمٍ من أعلامها الكبار هو فرنان بروديل.

على أنّ هذا الجدل الطويل والواسع، والحادّ أحياناً، عاد بدءاً من ستينيات القرن الماضي، ثمّ ثمانينياته، ليهدأ عبر صيغة تأليفية، أو تركيبية، عبّر عنها بعض المؤرخين الفرنسيين (بيير نورا P. Nora، وفرنسوا دوس F. Dosse) وبعض الفلاسفة أيضاً (ميشال فوكو، وبول ريكور) بـ "عودة الحدث" أو "انبعاثه من جديد". وقد نشأ كلّ هذا في سياق تاريخي أشمل أدّى إلى "شرعنة" التأريخ للحاضر؛ أي للزمن الراهن. فلقد فرضت أحداث كبرى من قبيل سقوط الاتحاد السوفياتي، وانهيار جدار برلين، إضافةً إلى الثورة الإيرانية وحرّي الخليج الأولى والثانية، نوعاً من التأريخ للحدث. ولكنّ "غير الحدثي"؛ أي غير المحصور في توصيف الوقائع والمعارك وتحليل السياسات "الواقعية" أو المباشرة، كان تأريخاً للحدث من نوع جديد، من نوع التأريخ للحظة الانقطاع والتحوّل، التأريخ لزمن متجاذب بين حملته أعباء الماضي وانفتاحه على احتمالات المستقبل. ولعلّ هذا ما فتحّ الأعين على التأريخ للحدث بمعنى جديد، وبإفق جديد أيضاً؛ ومن ثمّة بمفاهيم وأدوات إعلام وتوثيق جديدة.

إنَّ التَّاريخَ للثورات العربية الراهنة التي عشنا وقائعها، ومازلنا نعيش تداعياتها، كان من هذا القبيل، وشكَّلت هذه الثورات حقلَ تاريخٍ لِلحظة انفجار في الزمن التاريخي العربي، وقد دخل المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مباحثَ هذا الحقل من بابٍ واسعٍ¹.

لقد مضت مئة عام على الحرب العالمية الأولى التي كانت لها تداعياتها ونتائجها على مصائر العالم العربي برمته، بل كانت بعض مناطق العالم العربي ساحاتٍ لها، وكان بعض سكانها وقودًا أو جنودًا في جيوش المتحاربين من الفريقين. فكيف أُرخ لهذا الحدث؟ وكيف يمكن أن يُؤرخ له بعد مئة عام من جديد؟

تحدثنا عن مصائر شعوب عربية تفرّرت، وعن نشوء دول وإدارات وخرائط جيوسياسية جديدة رُسمت، وعن معاهدات ووعود وإستراتيجيات حُدِّدت، وعن طبقات اجتماعية جديدة وأحزاب وقوى سياسية كُوِّنت، حتى أن ذلك كاد يُحدث قطيعةً بين ماضٍ إمبراطوري عالمي وسلطاني في ثقافتنا من جهة، ومستقبل آتٍ كـ "ماضي الأيام الآتية" من جهة أخرى. وربما خُيِّل إلينا، وإلى أجيالٍ قبلنا، أن الزمن هو زمن الدولة الوطنية أو القومية؛ أي "الدولة الأمة"، أو "الدولة الموعودة" أو المرجوة دائمًا.

ماذا حصل بعد مئة عام؟ وكيف نُؤرخ لزمان التحولات التي أطلقها حدث الحرب العالمية الأولى الذي تقاطعت في شبابه وقائع الانتصارات والهزائم ومآلات الفشل والنجاح، وحالات الإحباط والأمل؛ تبعًا لاختلاف "الوتائر" في سرعة الأزمنة بين ثابتٍ ومتحولٍ ببطء حينًا، ومتحولٍ بسرعة حينًا آخر، وتبعًا لاختلاف "طبائع" البشر في اجتماعهم وعمرانهم بين أقطار العالم العربي، وهي التي شهدت معظمها مسارات هذه الحرب ونتائجها وتداعياتها، أو تعرّضت لها.

سبق أن أرخ إريك هوبزباوم (1914 – 1991) للقرن العشرين بكتاب هو: **عصر التطرفات: القرن العشرون الوجيز**. ولعلّ ما يبرّر صفة "الوجيز" التي وُصف بها هذا القرن تواريخُ الزمن المعتمدة في عملية التّاريخ نفسها؛ إذ يبدأ القرن العشرون، بحسب رأي المؤرخ هوبزباوم، باندلاع الحرب الأولى (1914 – 1918)، أو بالثورة الروسية (1917)، وينتهي بانتهاء الاتحاد السوفياتي عام 1991.

¹ أصدر المركز نحو 15 كتابًا في التاريخ للثورات العربية، أغلبها ضمن منهج "التاريخ للزمن الراهن".

في المقابل، أرخ آخرون لأفكار القرن العشرين "عربيًا"، واصفين إيَّاه بـ "القرن الطويل"²، على غرار "البرودلي" شأنَ القرن السادس عشر الذي يستعير من سالفه فترةً، ويمتد إلى لاحقه فترةً أخرى. أليس القرن العشرون الطويل - عربيًا - هو الامتداد الزمني السياسي الثقافي، وليس الكرونولوجي، لمشروع حضاري يبدأ مع نضال النُخب المحلية في العالمين الإسلامي والعربي، ومسعاها لتحقيق فكرة الدستور والمواطنة عام 1876، ويصل إلى زمن الثورات العربية الراهنة بدءًا من عام 1911؟ ثمَّ أليس القرن العشرون الطويل - عالميًا - من ناحية الغرب الرأسمالي التوسعي هو الامتداد الزمني الاقتصادي والسياسي والثقافي، في آنٍ واحدٍ، لبدء إمبريالية تحوّلت إلى "عولمة" ممتدة حتى اليوم، وأدّت إلى حربين عالميتين متصلتين ومتراپطتين على مستوى الأسباب، والنتائج، والتداعيات على امتداد هذا القرن، وإلى حروبٍ إقليمية لاحقة؟

لقد تقاطعت، في سياق الحرب العالمية الأولى، مشاريع النُخب المحلية والأعيان والشيوخ والملوك مع المشاريع الإمبريالية في العالمين العربي والإسلامي، وتشابكت معها أحيانًا، واندمجت فيها أحيانًا أخرى، فكيف حصلت كلّ هذه الوضعيات التاريخية، وحالات التقاطع والاشتباك والتوافق أيضًا؟ "الحدث" هنا. لم تُعدّ ثمّة واقعة معزولة، أو معركة من الماضي خاسرة أو رابحة. أضحى "الحدث" مفتوحًا على "المستقبل" الذي أصبح ماضيًا اليوم، مثلًا: انهزمت الحركة العربية المشرقية في "ميسلون"؛ فترتبت على ذلك مصائر في المشرق، وانتصرت الحركة التركية في الأناضول؛ فترتبت على ذلك مصائر أخرى في تركيا، على الرغم من أنّ الأمرين مرتبطان بمصير واحد هو إنهاء عمر السلطنة العثمانية المديد؛ أي إحداث قطيعة جذرية مع تاريخ ستمئة سنة من ذاكرة الشعوب الإسلامية وتواريخها المتناقلة.

يدخل "الحدث" وتداعياته الكبيرة والصغيرة في الوثائق المكتوبة، والكتب التاريخية على أنواعها المختلفة، وفي الذاكرة الجماعية، عبر مسالك في الوعي الجمعي وفي اللاوعي الجمعي، بصور

² انظر: وجيه كوثراني، الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث والبحث التاريخي (دار الطليعة، بيروت، 2000).

شئى، ربما تكون صحيحةً أحياناً، وربما تكون مشوهةً، أو معدّلةً في اتجاه التقبيح أو التحسين أحياناً أخرى.

مرّةً أخرى نطرح السؤال: ماذا نُورخ؟ وكيف نُورخ انطلاقاً من ذاكرة مئة عام على مرور الحرب العالمية الأولى؟

وفقاً لهذه الرؤية في التأريخ الممتد للحدث - وهي رؤية تقتضي مراجعةً نقديةً لما كُتب، ولما رُوي، ولما علق بالذاكرة، أو أُدخل من خلال صُور صحيحة أو غير صحيحة، نقترح إطاراً تنظيمياً للأفكار والموضوعات يكون جامعاً بين متغيرين في المشروع البحثي المتوحى: أولاً، متغيّر الأمانة؛ أي الوحدات الجغرافية - التاريخية المتعدّدة في الوطن العربي ودوله، ومتغيّر حقل الموضوع المطروح في الفترات التاريخية المتباينة بين منطقة وأخرى. ومن خلال هذا المنظور نقترح المحاور التالية:

المحور الأول: مراجعة نقدية لما كتب عن الحرب العالمية الأولى وتداعياتها عربياً

1. في بلدان المغرب العربي الكبير (المغرب، الجزائر، وتونس، وليبيا، وموريتانيا)
2. في وادي النيل (مصر، والسودان، وجوارهما الأفريقي)
3. في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام (العراق، وسوريا، وشرق الأردن، وفلسطين، ولبنان)
4. الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية، واليمن، وسائر دول الخليج)

وتشمل هذه المراجعات الكتب والمذكرات، والشهادات الشفوية (إن وُجدت)، ووثائق الأرشيف المحلي والأجنبي.

المحور الثاني: السياسات الدولية والمشاريع السياسية المحلية خلال الحرب (الدول والإدارات وتطلعات الأعيان والنخب المحلية وبرامجها)

تتوزع بحوث هذا الموضوع على المعاهدات، والوعود، والتقسيمات الجغرافية - التاريخية للدوائر العربية ودولها. ويُركّز فيها على سمات القوى الاجتماعية - السياسية الفاعلة، وخلفياتها الاجتماعية والثقافية، وطبيعة علاقتها بالسياسات الكولونيالية (رهانات ولاءات أو صراعات.. إلخ)، كما يركز على الدروس التاريخية التي آلت إليها هذه العلاقات بين الأطراف على المدى الطويل، ويركز في هذا الجانب على العقليات التي وقفت خلف المحادثات والمعاهدات والوعود (سايكس بيكو، وبلفور، وسان ريمو، ولوزان.. إلخ).

المحور الثالث: آثار الحرب اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً في المجتمعات العربية

يُراعى في هذا المحور أيضاً توزيع البحوث وفقاً للتقسيمات السابقة الذكر، ويُركّز فيه على أمرين مترابطين، هما:

- وحدة المعالجة بين المستويات الثلاثة: الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، وفقاً لمفاهيم "التاريخ الشامل".
- السعي لاكتشاف ووثائق جديدة: مكتوبة أو شفوية، أو مذكرات مغمورة. التركيز على موضوعات جديدة، أو لم تجرِ معالجتها على نحوٍ كافٍ في الكتابات المعروفة.

المحور الرابع: الثورات العربية في مرحلة ما بعد الحرب (الرد على الاحتلال)

1. ثورة العشرين في العراق
2. الثورة السورية (1925) مقارنةً بالثورة التركية الكمالية
3. المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني بعد الحرب (في العشرينيات)
4. الانتفاضة المصرية 1919 – 1920
5. ثورة عمر المختار (ليبيا)
6. ثورة الريف في المغرب (عبد الكريم الخطابي)
7. بواكير الثورة الجزائرية في عشرينيات القرن العشرين

ليس المطلوب في هذا المحور التأريخ الحداثي لهذه الثورات (إلا إذا كانت هناك جوانب غير معروفة)، بل المطلوب هو التركيز على تقييم هذه الثورات ودورها، وما أدت إليه من نتائج وتداعيات وما تطرحه من دروس، ولا بأس بإجراء المقارنة بين ثورات عشرينيات القرن العشرين وثورات بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين.

الجدول الزمني للمشاركة:

- تستقبل اللجنة التحضيرية والعلمية للمؤتمر عناوين الموضوعات وملخصاتها في غضون شهر حزيران/ يونيو، حتى منتصف تموز/ يوليو 2014.
- تستلم اللجنة البحوث بناءً على قبول الملخصات من منتصف تموز/ يوليو، حتى أواخر تشرين الأول/ أكتوبر 2014.

- تتجز اللجنة تحكيمها للبحوث، ويكون إجراء التعديلات والردود النهائية على الباحثين بدءاً من أواخر تشرين الأول/ أكتوبر، حتى آخر كانون الأول/ ديسمبر 2014.
- يجرى خلال كانون الثاني/ يناير، حتى موعد انعقاد المؤتمر في 20 شباط/ فبراير 2015 التحضير التحريري واللوجستي للمؤتمر.

يتولى الدكتور وجيه كوثراني المسؤولية العلمية لرئاسة اللجنة التحضيرية والعلمية، والمؤلفة من الأساتذة: عبد الحميد هنية، عبد الرحيم أبو حسين، عبد الرحيم بنحادة، سيار الجميل، محمد الأرنؤوط، منذر جابر، محمد عفيفي، ناصر الدين سعيدوني، مارلين نصر (عضوة اللجنة ومقررتها).

وتوجّه المراسلات كافة المتعلقة بالمشاركة إلى رئيس اللجنة الدكتور وجيه كوثراني عن طريق الأستاذ محمد مكية، على العنوان التالي:

mohammed.makiyeh@dohainstitute.org